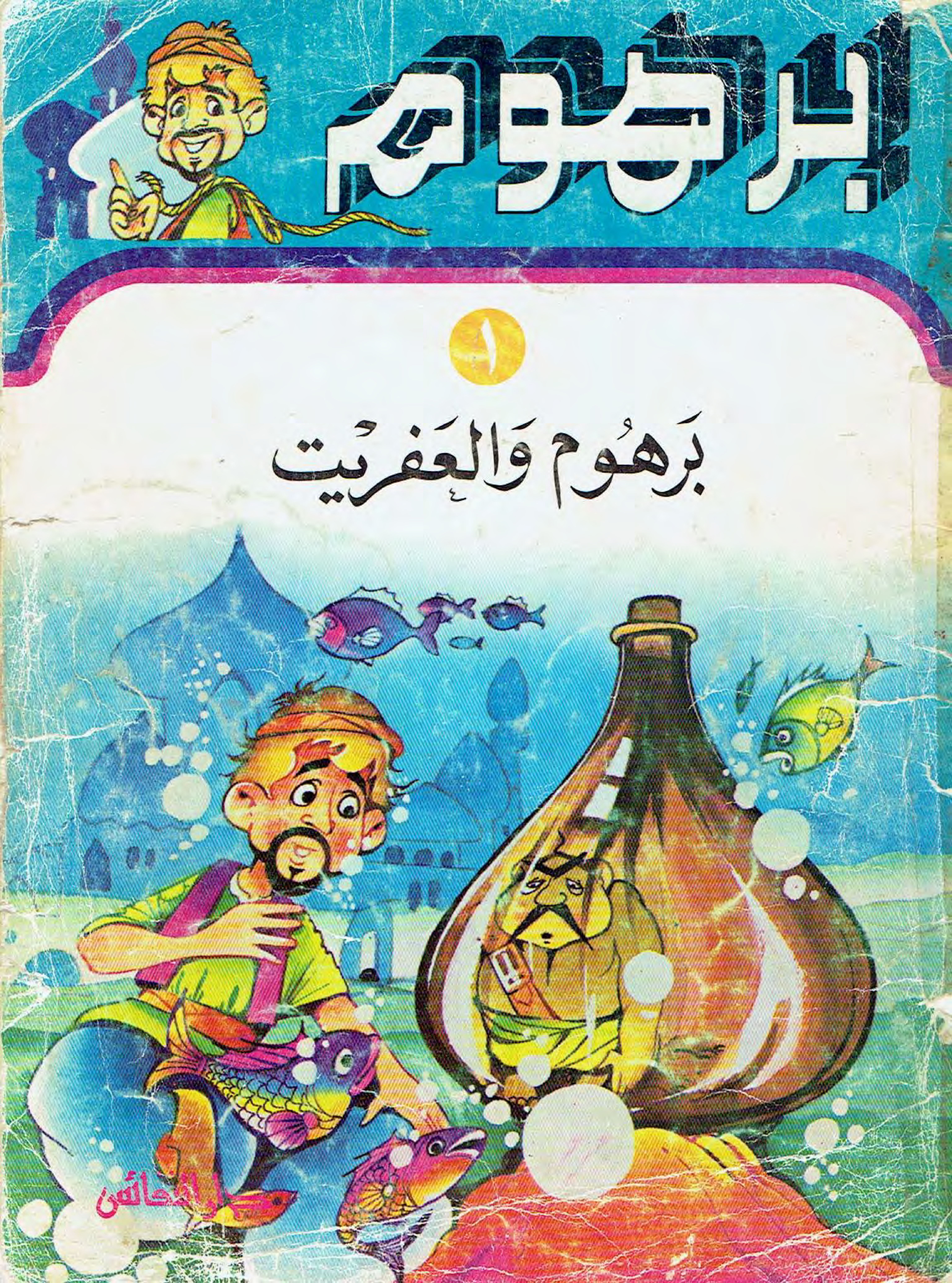
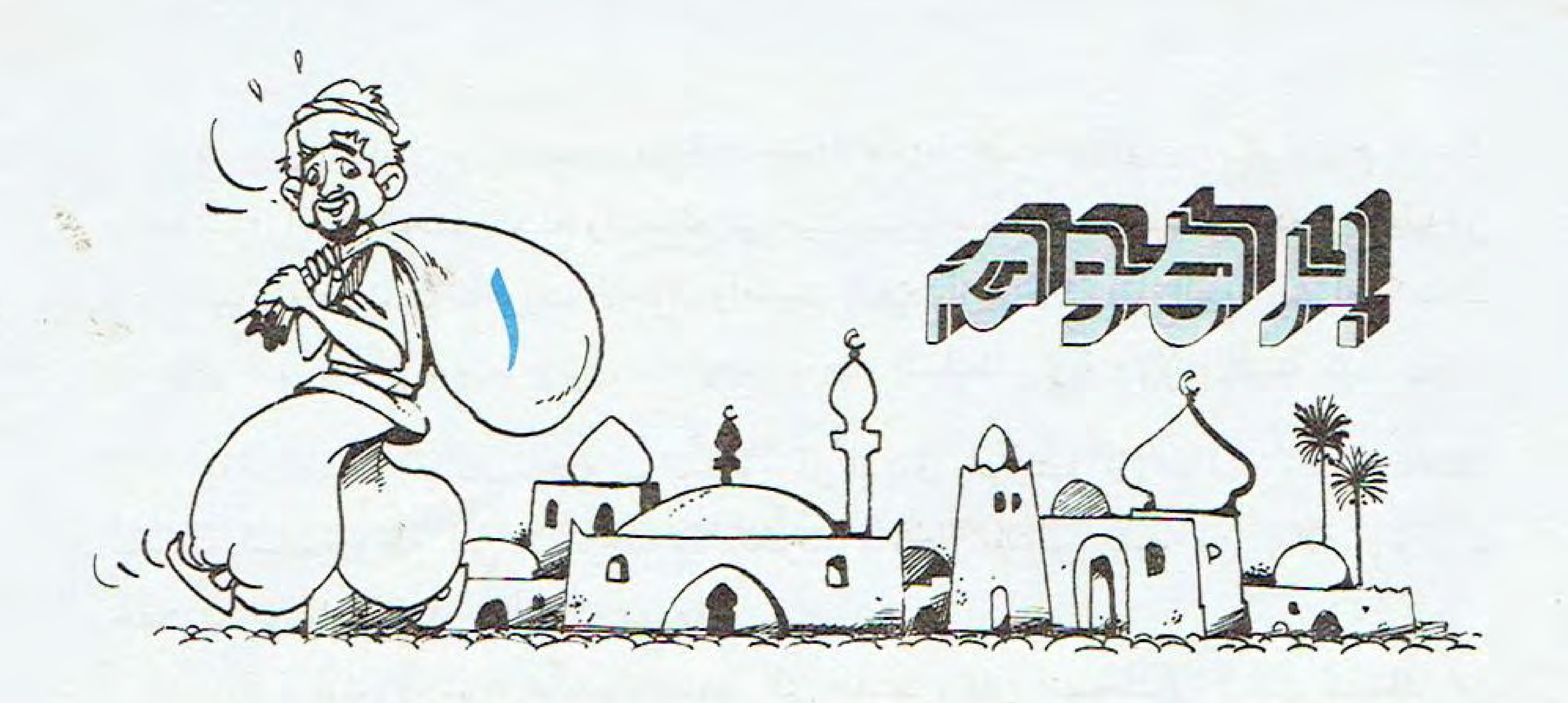


برهوم
١
بَرهُوم وَالعَفريت
دار النفائس



بَرْهُوم وَالعِفْرِيتْ

قصّة : محمّد عبد الحميد الطرزي

رسوم : طارق العسيلي



هـذه السـلسـلة :

من بيئتنا ، ومن قصصنا الشعبي ، اخترع المؤلف « برهوم » . وصوره إنساناً ذكياً ، قويَّ الإرادة ، عميق الإيمان ، يمتاز بخلُقٍ رفيع ومبادىء لا يحيد عنها ولو كلفته حياته .

بدأ حياته حمالاً يسعى بهمة ونشاط للحصول على لقمة العيش له ولأسرته المؤلفة من زوج ، سيئة الهيئة والخلُق ، وعدة أولاد . ولكن القدر يختاره ليكون عبرة للمعتبرين ويريه من عجائب الكون ما يشيب له الولدان . تتخاطفه الجان والمردة ويحملونه الى عالمهم فيصاحب بعضهم ويعادي آخرين . ويواجه السحرة والمردة الكفرة في عوالم لم نسمع بها إلا في الأساطير ، ويتعرض لمواقف لا يصدقها الخيال . ولكن النجاح يكون حليفه دائما رغم المتاعب والأهوال، بما امتاز به من صفات وأخلاق :

وتمضي الأيام طويلة ، وفي كل يوم مغامرة جديدة ، ومواقف مثيرة .

هذه الأيام نعيشها مع « برهوم » في مسلسله الذي تفخر « دار النفائس » بتقديمه ابتداء من هذه الحلقة إلى أبناء العربية الأعزاء .

في قديم الزمان . . . كان يسكن مدينة «رشيد» حمال مسكين يسعى الى رزقه كل صباح ، حيث يقصد سوق المدينة ليحمل السلع والبضائع الى حيث يشاء أصحابها ، ويعود بما يجودون به عليه من أجر زهيد . وحدث ان تدهورت الأحوال وأصيبت البلاد بأزمة خانقة فقل البيع والشراء وكسدت الأسواق فلم يعد لبرهوم ما يرتزق منه ليعيل زوجته السليطة زنوبة وأولاده الستة منها . .

وذات صباح بينما كان برهوم يهم بالخروج الى السوق وهو يبتهل الى الله أن يرزقه ولو بالقليل ليسكت لسان زوجته التي لا ترحم ولا تعترف بما حل بالناس جميعا من إملاق وبؤس ، لحقت به الى باب الدار وقالت له مهددة :

ـ إذا لم توفق في شراء اللحم والفاكهة التي طلبتها ، فإني أنصحك أن تبحث لنفسك عن مكان آخر تأوي اليه . .

نظر اليها بانكسار وقال بصوت متخاذل :

ـ ومن أين يأتيني ثمن كل هذا . . ؟ لو منَّ الله علي بمن أعمل له فلن يدفع لي اكثر من قروش لا تكفي ثمن الخبز للأولاد . .

وضعت يديها في خصرها الضخم وقالت :

ـ قلتها كلمة . . اللحم والفاكهة والا فلا مكان لك عندي . .

انسحب برهوم من أمامها حزينا مقهورا مفضلا الابتعاد عنها على المزيد من كلماتها اللاذعة التي لا تنتهي ، وراح يسائل نفسه طوال الطريق . . ماذا يفعل لو أنه عجز عن شراء ما طلبت منه وهو أمر مؤكد لو ظل يحمل الأحمال طوال يومه ما ربح ما يحقق لها هذا المطلب الجائر . .

وصل الى أول السوق فجلس بجوار حائط ينتظر فرج الله وهو لا يكف عن الدعاء من أعماقه سائلا ربه العون والرزق . .

استجاب الله لدعائه اذ سمع من يناديه :

ـ انت ايها الحمّال :



هب برهوم من مكانه فرحا وأسرع اليه وهو يقول :

ـ لبيك سيدي . .

نظر اليه الرجل بترفع وغطرسة وقال :

ـ إحمل هذا الصندوق واتبعني . .

نظر برهوم الى الصندوق فزعا فقد كان حجمه كبيرا . ولا بد وان يكون وزنه ثقيلا ، وهو ضعيف لا جلد له على رفع الأثقال بعد أن وهنت قوته بفعل الجوع ، ومع ذلك تقدم نحو الصندوق بفرح ولسان حاله يقول :



ـ حقا انه ثقيل وسيرهقني حمله ولكن لا شك أن الأجر الذي سيدفعه له التاجر سيكون بدوره عظيما مجزيا . .

وبصعوبة شديدة حمل الصندوق بمعاونة من أهل المروءة والشهامة الذين تصادف مرورهم وشاهدوه يحاول عبثا رفع الصندوق من الأرض . . شكرهم برهوم وأخذ يتقدم خلف الرجل ببطء والرجل لا يكف عن نهره ومطالبته بالاسراع ، حاول برهوم قدر طاقته وبكل قواه المتبقية أن يسرع ولكن شاء سوء طالعه ان تطأ قدمه قشرة موزة ألقاها مستهتر في الطريق ، فانزلق وسقط على الأرض وهوى الصندوق بكل ثقله على ساقه فكسرها .

توقف الرجل إثر سماع صراخه واتجه نحوه ساخطا وقال بغضب :

ـ أيها اللعين لقد اتلفت ما بصندوقي . .

اجابه الحمال وهو يتأوه ويصيح ألما :

ـ ما أتلفت شيئا يا سيدي إلا ساقي التي كسرت . .

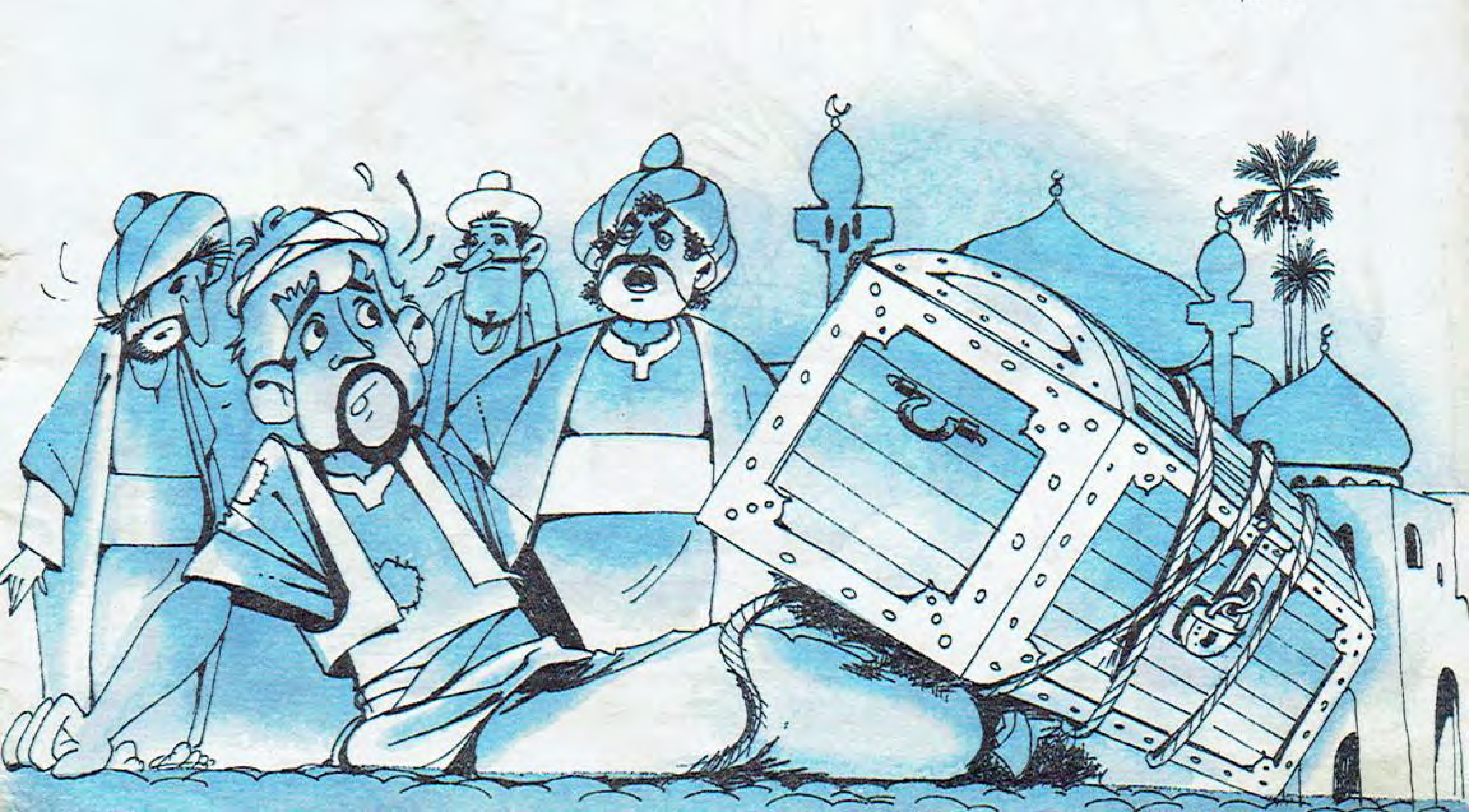
قال الرجل بلا رحمة أو شفقة :

ـ ليته سقط على عنقك فدقه وأراح الناس من بلواك . .

تطلع اليه برهوم بحزن ويأس وقال :

ـ ليت الله سبحانه وتعالى يستجيب لدعائك فأرتاح من هذه الدنيا التي خلت من الرحمة والوفاء والأمانة والاعتراف بالجميل . .

تلفت التاجر حوله بضيق ولمح حمالا يسحب دابته فناداه وكلفه بحمل الصندوق فقال برهوم :





ـ وأين أجري يا سيدي . . لعلك تكرمني قليلا بعد ان كسرت ساقي . .

أجابه الرجل بفظاظة :

ـ واي أجر لك عندي أيها الشقي . . ؟ لقد أتلفت ما في صندوقي وأنزلت بي خسائر فادحة . أولى بك أن تشكرني لامتناعي عن تسليمك لرجال الوالي لا أن تطالبني بأجرك وبكل وقاحة . .

كان بعض المارة قد تجمعوا على صياحهما فالتفت التاجر الى أقربهم وقال :

ـ أرأيت كيف يسعى أمثاله الى الفساد في الأرض فيكسرون للناس أشياءهم ثم يطالبونهم بأجر ما كسروا . . ؟

نظر الرجل الى التاجر والى لباسه الفاخر الثمين ورد بصره الى برهوم الملقى على الأرض بأسماله البالية ورجله المكسورة وقال لنفسه :

ـ فلتكن شهادتي الى جانب هذا التاجر البادي الثراء فاحصل منه على كسب لن يتمكن هذا الحمال الفقير من تحقيقه لي لو شهدت معه . . قال دون تردد :

ـ قبحهم الله يا سيدي من قوم لا يخافون الله ولا تعرف وجوههم الخجل أو الندم على فعالهم القبيحة . .

نظر اليه برهوم بدهشة وقال :

ـ ولكنه يا أخي ظلمني ولا يريد إعطائي حقي وبسببه كسرت ساقي . . فأي عمل لئيم أتيته لتتطوع بالشهادة ضدي وأنت على ما يبدو فقير ومسكين مثلي . .

التفت الرجل الى التاجر وقال :

ـ سيدي فلنذهب من هنا قبل أن يخرجني هذا الوقح عن طوري فأكمل عليه وأكسر له الساق الثانية . .

شجعه التاجر ببسمة راضية وقال :

ـ يبدو أنك رجل حر طيب لا ترضى الظلم . . هيا بنا من هنا فلن أفارقك بعد الآن . .

قال الرجل وهو ينحني باحترام :

ـ خادمك المطيع . .

بالرغم من الألم والأوجاع التي أصابت برهوم ارتفع صوته ساخرا منهما :

ـ وكيف تفارقه وهو منافق مثلك . . اذهبا ينتقم الله منكما بمن هو أقوى . .

لم يلتفتا اليه بل وتركاه وانصرفا وصوت ضحكاتهما الساخرة يصل الى أذنيه ليزيده من استنزال الدعوات عليهما معا . .

راح برهوم يلتقط أنفاسه المبهورة فاذا بالسماء تكفهر فجأة وحجبت الشمس الساطعة غمامة سوداء . .

تلفت حوله علّ أحدا من المارة يعينه على الوصول الى بيته مع أن خوفه من العودة كان يؤلمه أضعاف ما تؤلمه ساقه المكسورة ، لكن عينه لم تقع على إنسان فقال بحزن :

ـ من سيبقى في الطريق والسماء تنذر بمطر غزير . . ؟

غير أنه سمع صوتا أجشا مخيفا يقول :

ـ أيها القاتل . . أنت قتلته وحق عليك العقاب . . اختر لك ميتة تروقك . .

تلفت برهوم بذعر وخوف ووقع بصره على شبح اسود ينتصب أمامه . رفع رأسه وتطلع فاذا به ، وجها لوجه مع مارد مخيف بشع الصورة تقدح عيناه شررا فصاح مستغيثا مذهولا :

ـ أنا في حِمى ...

هدر الجني المارد غاضبا وقال بصوت كالرعد

ـ ايها الانسي . . لقد حطمت رأس ولدي . .

هتف برهوم بخوف وذعر :

ـ أنا يا سيدي العفريت . . ؟ أقسم لك بالله انك مخطىء . . أنا لم أحطم شيئا . . لقد سقط الصندوق على ساقي فكسرها . . انظر يا سيدي العفريت لتتأكد من صدقي . .

زمجر المارد وقال :

ـ هل تعرفون الصدق أنتم بنو الانسان . . ؟

أجابه برهوم بضراعة :

ـ صدقني . . أنا لا أكذب أبدا . .



قال المارد مهددا :

ـ إذن لماذا كذبت الآن وادعيت أنك لم تحطم رأس ولدي . ؟ لقد شج رأسه بصندوقك . .

قال برهوم بحيرة واستغراب متوسلا :

ـ لا شك أن هناك التباس في الأمر ايها العفريت العظيم . . أنا لم احطم رأس ولدك بل سقط الصندوق على ساقي أنا وكسرها . .

قاطعه الجني بصبر نافد :

ـ أيها التعس انك لا تكف عن ترديد قصة الصندوق الذي كسر رجلك . . لماذا تدعي البراءة وقد رأيتك بعيني رأسي وأنت تشج رأس ولدي بصندوقك .

أدرك برهوم انه هالك لا محالة ما دام حظه السيء قد أوقعه في يد ذلك المارد المجنون ، وهداه تفكيره الى منفذ قد يطيل من عمره بعض الوقت فقال راجياً :

ـ سيدي العفريت العظيم . . انك على ما يبدو صادق الوعد عادلا ولا يضيع الحق في رحابك لذلك أرجو ان تتيح لي فرصة أثبت لك فيها انني صادق ولا أكذب وانني حقا لم أحطم رأس ولدك . . ؟

تململ المارد في مكانه بضيق ثم قال :

ـ كيف تريدني ان أصدقك وولدي مشدوخ الرأس ما بين الحياة والموت . . ؟

أدرك برهوم أنها النهاية لا محال فقال مستسلماً :

ـ أمري الى الله . . تفضل اذن يا حضرة العفريت وافعل بي ما تشاء . .
وبدت الدهشة على وجه العفريت فقال :
ـ أنت مؤمن الى هذه الدرجة ؟ عجيب ونبي الله سليمان . .
قال برهوم على عجل :
ـ صلوات الله عليه . .
ابتسم المارد وقال :
ـ ما اسمك ايها الانسي الغريب . . ؟
أجابه باستسلام :
ـ خادمك المطيع . . برهوم ابراهيم براهم . .
قهقه المارد ضاحكا بصوت كقصف الرعود وقال :
ـ يا له من اسم غريب . . ؟
وتذكر ولده فجأة فقال بغضب :
ـ كفاك لغوا . . هيا أسرع واختر لك ميتة تموتها . .
ارتجفت يداه وهو يرفعها ضارعا متوسلا . فقال العفريت :
ـ لا تحاول أن تستدر عطفي . . ستنال جزاء ما صنعت بولدي . .
قال برهوم راجيا :
ـ ولدك لم يمت يا حضرة العفريت . . ان كنت حقا أستحق الجزاء فافعل بي ما تعتقد انني فعلته بابنك . .
فكر العفريت برهة وقال مستفسراً :
ـ أتعني أن احطم رأسك . .
أجابه على عجل :
ـ تماما ولكن بشرط . .
رماه بنظرة دهشة وقال مستنكراً :



ـ أتشترط عليّ ايها الانسي الأحمق . . ؟

أجابه برهوم دون خوف هذه المرة :

ـ فهمت من حديثك أنك مؤمن بنبي الله سليمان . .

ردد المارد بخشوع :

ـ لا إله إلا الله . . سليمان نبي الله . .

قال برهوم بارتياح وقد أيقن من النجاة :

ـ عظيم . . لقد اتفقنا على رأي . . سليمان عليه السلام هو نبي الله . . أخبرني اذن يا سيدي العفريت . . ألا يعمل المؤمن بما يؤمن به ؟ . .

أجابه المارد على الفور :

ـ بلى يعمل . .

سأله برهوم :

ـ وهل تعلمت من نبي الله ضمن ما تعلمت أن تظلم الناس . . ؟



أجابه بغضب :

ـ أنا لم أظلمك أيها الإنسي . . انت تستحق الموت لأنك حطمت رأس ولدي . .

أجابه برهوم بذكاء :

ـ ألا يكون الجزاء من جنس العمل . . ؟ ألأنني شججت رأس ولدك دون قصد تقتلني . . ؟ ماذا لو تعافى ولدك بعد قتلي . . ؟

حك العفريت رأسه ، فقد نجح هذا الانسي في إيقاعه في بحر من الحيرة وقال :

ـ حقا أكون قد ظلمتك . . ماذا تقترح إذاً لتنال عقابك الذي تستحق . .

تأكد برهوم انه على وشك النجاح فقال :

ـ أمهلني بعض الوقت فقد يمن الله بالشفاء على ولدك ، وبما انني كما ترى مكسور الساق لا أملك القدرة على الحركة . فمن العدل أن تأتيني بما آكله ولك ان تحتفظ بي في أي مكان تختاره . .

عاد العفريت يعبث بشعيرات ذقنه مفكرا وقال :

ـ انه رأي معقول . . ألست متزوجا أيها الانسي . . ؟

تذكر زوجته وتهديدها له فاغتم وقال :

ـ نعم يا سيدي العفريت إني متزوج من ابشع النساء واكثرهن شراهة . .

ضحك العفريت وقال :

ـ ما معنى ذلك أيها الانسي . . أليست زوجتك التي اخترتها لنفسك .

أجابه بصوت حزين :

ـ عندما تزوجتها كانت جميلة مياسة القد كغصن البان وكان شعرها الأسود الفاحم يصل الى كعبيها نحيلة الخصر رشيقة قليلة المأكل . . أما الآن . . فقد أضحت كشجرة الجميز في ضخامتها لكثرة ما تأكل ، وتشعث شعرها وملأه الدسم فاضطررت أن أجزه لها . . اذا ما جلست للطعام ضاع كل من حولها وظلوا جياعاً . .

قهقه العفريت بمرح وقال يستزيده :

ـ يا له من وصف . . أكمل ايها الانسي . .

قال برهوم متناسيا حاضره وما هو فيه متذكرا تهديدها فقال :

ـ كفاك الله شرها يا سيدي العفريت . .

رق قلب العفريت بعض الشيء وقال له :

ـ مع كل ما تصفها به فانك ترجوني أن اتركك الى جوارها ريثما تتماثل للشفاء .

صرخ برهوم بذعر :

ـ لا . . لا يا سيدي العفريت أرجو ألا تفكر في أخذي اليها . . احتفظ بي في أي مكان تختاره

أنت ! فقط أود لو ساعدت أولادي المساكين وأمددتهم ببعض الطعام . .

كان المارد ينصت اليه باستغراب وقد حاز برهوم على إعجابه بتذكره أولاده ومسألة اطعامهم .

قال الجني :

ـ سأضمن لك طعامهم طوال مدة أسرك . . واذا قدر لك ان تموت فلن أبخل عليهم بالطعام من أجل خاطرك . .

تنهد برهوم بارتياح ورفع كفيه الى السماء وقال من اعماقه :

ـ شكرا اللهم وحمدا . .

ازداد عجب الجني فسأله :

ـ أتشكر الله على مصيرك المجهول . . ؟

أجابه ببساطة :

ـ بل على رزق أولادي وقد ساقه لهم على يديك . .

سأله الجني ليسبر غوره :

ـ أتدري أين قررت الاحتفاظ بك . . ؟

اجابه دون اهتمام :

ـ لا يهم . . في أي مكان تختاره سأنتظرك . .

سأله بحذر :

ـ ألا تحاول الهرب . .

اجابه الحمال بشمم :

ـ أنافقير حقا ولكني أقدس كلمة الشرف . . متى وعدت أنجزت وعدي ولو مت في سبيل ذلك . .

رفع الجني حاجبيه الكثّـن فصدر عنهما صوت كصوت حفيف الأغصان وقال بدهشة :

ـ ولكني لم أطالبك بوعد أو عهد . . انك لا تعلم المكان الذي اخترته لك ومتى علمت ربما غيرت رأيك ورضيت بالعودة الى زوجتك . .

أجابه على عجل :

ـ لا يا حضرة العفريت . . خذني الى حيث تشاء فأنا طوع أمرك . .

قال المارد :

ـ اذن فاعلم بأنني سأعمل برأيك حتى لا أظلمك . . سأحتفظ بك في مكان أمين ريثما تشفى ساقك وأرى ما سينتهي اليه أمر ولدي . .

أجابه داعيا :

ـ يا رب العالمين اشف ولده يا رب . .

قال الجني :

ـ سأودعك زجاجة مسحورة وألقي بك في البحر حتى تنتهي المهلة . . فإما ان تموت اشنع ميتة فيما لو فقدت ولدي أو تصبح حرا طليقا . .

لم يرتعد برهوم ولم يستغرب كما ظن الجني انما اسرع يقول :

ـ ستتركني حرا طليقا وفقيرا كما كنت . . ؟ من أين أحصل على قوت أولادي يا ملك العفاريت . . ؟

ضحك العفريت وقال :

ـ وقتها يعين الله . . الآن تهيأ فسوف تدخل الزجاجة . .

وشاهده برهوم ينكمش ويصغر حجمه حتى صار بحجم طفل صغير وقال له :

ـ أرأيت كيف أستطيع ان أصغر وأصغر سأصير في مثل حجم البلحة . . ؟

كان برهوم مبهورا مما يراه فقال :

ـ نعم . . ولكني لا أستطيع أن أفعل مثلك . .

قال الجني :

ـ انظر اليّ وافعل ما أفعل وردد

وجلس الجني القرفصاء أمامه وهو في ذلك الحجم الصغير وقال بصوت مهيب :

ـ براقع . . براقع . .



ردد برهوم القول فاستمر الجني يقول :

- براقع . . براقع . . احضر الي . .

ردد برهوم القول فاستمر الجني يقول :

- صغرني وبحجم الكف كورني وفي فوهة الزجاجة مررني وفي قاعها أرحني وريحني . .

أخذ برهوم يردد ما يسمع ولم يشعر بنفسه إلا وهو يصغر ويصغر دون أن يدري . فلما انتهى من آخر كلمة وجد نفسه في شبه قصر كل ما فيه جميل : الديباج والحرير والأرائك وريش النعام والبسط العجمية والأواني الذهبية والفضية . وكانت المائدة زاخرة بما لذ وطاب وما له طعم عجيب مستطاب . .

مد يده وتذوق الطعام بفرح :

- يا الله ما أبدعه . . لو ان الأولاد تذوقوه . .

أجابه الجني :

- منه سيأكلون . .

قال وهو يستريح مسترخيا :

- أين انا ايها الجني الكريم . . أفي قصر السلطان أم في جنة رضوان . . ؟

ضحك الجني ساخرا وقال :

- انت الآن داخل الزجاجة حيث قررت ان احتفظ بك المهلة الممنوحة . .

تلفت برهوم حوله باستغراب وقال في نفسه :

- مجنون هذا المارد . . يقول انني داخل زجاجة وانا في قصر منيف . . ربما يسخر مني ويريد أن يجربني . . اذن سأتظاهر بتصديقه . .

قال برهوم :

- يا لها من زجاجة جميلة . . ليتك تفعل بأولادي كذلك ليؤنسوا وحدتي . .

هز المارد رأسه وقال :

- وماذا جنى أولادك حتى ألقي بهم بين الأمواج ليعيشوا معك في أعماق سحيقة . . ؟

قال برهوم لنفسه :

- انه يداعبني . . يا له من عفريت لطيف . . سأجعله صديقي ولن أفارقه أبدا . .

قال وهو يعود لتناول بعض الفاكهة التي تكدست فوق المائدة :

- افعل ما يحلو لك . . اذا أبقيت علي إلى الأبد في هذا المكان الجميل فسأشكر لك حسن ضيافتك وكرمك . .

احس برهوم وكأن أذنيه أصيبتا بالصمم فجأة فلم يعد يسمع شيئا وان كان يرى كل ما يدور

حوله ، شاهد الجني ممسكا بزجاجة طار بها عاليا في الهواء ثم انخفض بها نحو البحر ، وفي مكان معين توقف وقال بصوت سمعه برهوم بجلاء :

ـ هنا ستنتظرني يا انسي . .

نظر برهوم الى حيث يقف المارد في الماء كالجبل الأصم وساقاه تبدوان كجزع شجرة السرو وأمواج البحر تضرب بمائها الهائج فقال بعجب :

ـ تقول هنا . . ؟ ولكن الأمواج ستقذفني بعيدا وربما لا تعثر علي عندما تعود . .

ضحك الجني وقال :

ـ بل ستبقى حيث أنت حتى أحضر . .

وانحنى المارد والزجاجة في يده ثم مد ذراعا طويلة وصلت الى قاع البحر حيث وضعه برفق وانصرف . .



تلفت برهوم حوله فاذا به في وسط غابة من نباتات الماء الجميلة الألوان والأشكال فارتاحت نفسه بعض الشيء وهمس :

ـ يظن العفريت انني غير راض عن بقائي هنا . . اتمنى لو انني بقيت العمر كله هنا بعيدا عن زنوبة ومنغصاتها ، ماذا ينقصني . . ؟ المأكل الطيب والفراش الوثير والهدوء والراحة . . ووجد نفسه يحمد الله ويشكر أفضاله بكل ما في قلبه من ايمان . .

وفجأة سمع صوتا يهتف به فتلفت حوله بدهشة . وراح يتفحص المكان من كل جهة فوقع بصره على زجاجة مماثلة وبداخلها سجين مثله ، يا الله . انه بشع الصورة مرعب المنظر . .

قال الصوت :

ـ من أي طائفة من الجن انت . . أمن الجان الطيارة أم الجان المستوطنة . . أجبني . .

دهش برهوم وأجابه على عجل :

ـ لا أنا بالطيار ولا بالمستوطن . .

سأله بدهشة :

ـ ماذا تكون إذن . . ؟ لماذا ألقاك نبي الله سليمان في قاع البحر مثلي . . ؟

أجابه برهوم :

ـ نبي الله لم يسجني ولم يلقني كما تظن . .

ازدادت دهشته وقال :

ـ إذن من تكون . . ؟

وجد برهوم ان هذا السجين يتمادى في أسئلته فقال له :

ـ ما بالك تنهال علي بأسئلتك وأنا لم أسألك سؤالاً واحداً . . من تكون أنت ولماذا أنت هنا . . ؟ أجبني حتى أجيبك بدوري . .

قال وهو يتطلع اليه بسحنته المرعبة :

ـ أنا المارد الجبار هازم الممالك والديار . . انا حبظلم ساكن القفار وقاع البحار . . من تكون أنت . . ؟



ضحك برهوم لهذه المقدمة الطويلة التي عرف بها نفسه وقال باستخفاف :

ـ أنا برهوم زوج زنوبة . .

سأله حبظلم باستغراب :

ـ زنوبة . . ؟ ومن تكون زنوبة . . ؟

أجابه بمرح :

ـ انها زنوبة الجبارة التي تأتي على الطعام بكل شطارة . واذا عز الطعام استحالت الى شيطان يخشاه شيطان المنارة . .

اهتز حبظلم وقال بغضب :

ـ تقول تستحيل الى شيطان يخشاه شيطان المنارة ؟ كيف يكون ذلك وأنا نفسي شيطان المنارة . . ؟

ارتعد برهوم وقال بخوف :

ـ أنت شيطان منارة رشيد . . ؟

أجابه بزهو :

ـ نعم أنا . . لعلك من رشيد . . ؟

أجابه برهوم متنهدا :

ـ كنت منها قبل ان أحضر الى هنا . . ؟

أخذ حبظلم يتأمله بامعان وسأله :

ـ أتدري أين انت الآن من رشيد . . ؟

أجابه بعدم اكتراث :

ـ لا اعلم غير أني هنا والسلام . . وان كنت اظن انني قرب الميناء . . الا تقول انك مارد المنارة . . ؟ لا بد وان اكون قرب منزلك . . المنارة هي منزلك ، اليس كذلك . . ؟

قهقه حبظلم بصوت مدوي هاجت له المياه الساكنة وقال :

ـ ايها المسكين . . انك في بحر الظلمات حيث لا تصل اليك اشعة الشمس الا بعد ساعات من ظهورها على الأرض . .

سـأله برهوم مذعورا :

ـ بحر الظلمات . . ؟ وأين يقع بحر الظلمات هذا . . ؟ أهو على مقربة من رشيد . . ؟

قال حبظلم وقد ضايقه غباء برهوم :

ـ أخبرني أولا . . من تكون ولماذا انت هنا . . ؟

قص عليه برهوم قصته وكان حبظلم يتتبعه باهتمام لا يخلو من دهشة ثم قال :



ـ أنت انسي اذن . . ؟ لقد وقعت في يد المارد الجبار قطامش . .

هز برهوم كتفيه باستخفاف وقال لنفسه :

ـ قطامش أو غير قطامش الأمر سواء . . انه مارد طيب القلب ولولا هذا الصندوق اللعين الذي شج رأس ابنه لكان صديقا مخلصا لي . . ويضحك برهوم على نفسه : فلو لم يشج الصندوق رأس ولد قطامش ما ظهر له المارد وتحدث اليه .

قال بعد لحظات لحبظلم :

ـ أخبرني أولا . . ما الذي أتى بك الى هنا . . ؟ ولماذا وضعوك في هذه الزجاجة . . ؟

اجابه حبظلم :

ـ كنت من الكفار ، رفضت الخضوع لنبي الله سليمان ولم أؤمن به أو برسالته . .

أجابه برهوم :

ـ أنت حر في ذلك فالدين قبل كل شيء اقتناع واختيار . . لا اكراه في الدين . . من آمن بالله واليوم الآخر وعمل عملاً صالحاً كافأه الله يوم القيامة وأدخله الجنة . . فلماذا حبسك نبي الله سليمان ألأنك رفضت الاعتراف به ؟

أجابه حبظلم :

ـ انه لم يسجني لهذا السبب . .

ـ لأي سبب إذن . . ؟ سأل برهوم

أجابه حبظلم :

ـ كنت أبطش بكل من يؤمن به وأسومه العذاب حتى يرتد . .

هتف برهوم دون وعي :

ـ الله يخرب بيتك . . أكنت تحرض المؤمنين على الكفر بعد الإيمان . . يا ويلك ايها المارد المنحوس . . لقد أحسن نبي الله سليمان صنعاً بقبرك في هذا المكان . .

توقف عن الحديث لحظة ثم خاطب حبظلم قائلاً :

ـ منذ متى وأنت في هذا السجن . . ؟

أجابه حبظلم :

ـ منذ آلاف السنين وسأبقى هنا حتى يأتي من يفك أسري . .

نظر اليه برهوم باشفاق وقال بعطف

ـ ومن تنتظر أن يصل اليك هنا لينقذك كما تقول . . ؟

أجابه بإيمان :

ـ انا لا أهتم لذلك . . لقد آمنت بالله وتبت اليه وندمت على ما فعلت وأنا راض بما يقدره الله . .

تهلل وجه برهوم وقال :

- إذن تأكد ان الله يرعاك وسيرسل اليك من يقوم بإنقاذك . .

قال حبظلم :

- صحيح انني اتوق الى الحرية الا أنني اخشى الدنيا الفانية ومغرياتها . . أود أن ينتهي أجلي وأنا نظيف طاهر لا ذنوب في عنقي ألقى بها ربي يوم القيامة . .

خاطبه برهوم ببساطة :

- قهرك للمغريات هو قمة الإيمان يا أخي حبظلم . . المهم الآن ان ييسر لي الله الأمور ويشفي « حنتيس » - ابن المارد - وسأكون أنا منقذك باذن الله . .

تهلل وجه حبظلم وقال :

- إذاً فقد أرسلك الله لانقاذي . . اليس في ذلك آية على ان الله غفر لي ذنوبي ومحاها . . ؟

أجابه برهوم :

- سبحان علام الغيوب يا حبظلم . . ان الصدق في التوبة والايمان بالله والرضاء بقضائه وقدره كفيل بمحو ما دونها والله غفور رحيم . .

قال حبظلم بحزن :

- ولكني أتيت من الأعمال ما يصعب غفرانه . .

أجابه برهوم مستنكراً :

- استغفر ربك يا حبظلم فمن استكثر ذنوبه على الله كفر . . لقد قال تعالى في كتابه العزيز : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعاً . . »

أنصت حبظلم خاشعاً لما يسمع وقال :





ـ زدني يا أخي برهوم من هذا القول البديع . .

قال برهوم :

ـ فلنكن أخوين مخلصين يا حبظلم وأعاهدك والله على ما أقول شهيد ان أسعى لإنقاذك ولو أفنيت عمري في سبيلك . .

قال حبظلم :

ـ يا لك من أخ كريم وفيّ . . لو قدر لك وأنقذتني ، سأجعلك سيدا لهذه الدنيا . .

اجابه برهوم ببساطة :

ـ سبحان موزع الأرزاق ولم ينس أحداً . . دع المال جانبا يا حبظلم فالصداقة الأصيلة أثمن من كل أموال الدنيا وكنوزها . .

قال حبظلم :

ـ ولكني في مكان بعيد وقد تتعرض للهلاك لو حاولت الوصول الي . .

أجابه برهوم :

ـ أستعود مرة أخرى الى الشك . . ؟ يا أخي حبظلم ان الله قادر على كل شيء . .

قال حبظلم بخشوع مردداً :

ـ ونعم بالله . .

ورآه حبظلم يتثاءب فسأله هل ترغب بالنوم ؟

أجابه برهوم نعم وأنت ألا تشعر بالنعاس ؟

قال حبظلم :

ـ أنا قليل النوم ، ولكني سأحاول أن أنام وأتركك ترتاح . . . تصبح على خير .

أجابه برهوم :

ـ وأنت من أهل الخير .



الحلقة القادمة

برهوم في جوف الحوت

ترك الجني « قطامش » برهوماً في قاع البحر وحمل ألف دينار ومؤونة كبيرة الى بيت برهوم ، سلمها لزوجه « زنوبة » وتأكد من شراهتها وسلاطة لسانها وعاد الى ابنه الجريح فوجده قد استعاد وعيه ، فاعترف لأبيه بأنه هو الذي وضع للحمال المسكين قشرة موز ليزحلقه ويضحك منه . . .

وفي الوقت الذي كان « قطامش » يَعِدُ ابنه بأن يرجع برهوماً إلى منزله وعائلته ، كان حوت كبير يبتلع زجاجة برهوم وحبظلم ويضرب بهما في أعماق البحار . وهناك يحكي حبظلم لبرهوم قصته الغريبة ويكشف له عن نواياه الخبيثة . فإلى حلقة جديدة مع « برهوم في جوف الحوت » .

الناشر

© دار النفائس
شارع فردان - بناية الصباح وصفي الدين تجاه سيار الدرك - الطابق الثالث
ص. ب ٦٣٤٧-١١ - بيروت - هاتف ٨١٠١٩٤ - برقياً : دانفايسكو